

القيادة الإشراكية لنبوغك، وقد تكفي هذه التحولة عما كنا نرجوه فيك أن نصبح ﴿لَفِي شَكِّ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ .

فلقد خاب رجاءنا فيك إلى معاكس مكالس وفالس خالص، أفترجونا بعد أن نصدقك رسولاً من الله؟! ﴿أَتَنْهَلْنَا﴾ بعد ﴿أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ وإنما القاصمة الحاسمة لكل رجاء فيك .

وهكذا يبلغ التحجر بالناس النسناس أن يعجبوا من الحق اليقين بمجرد أنه يخالف شهواتهم وعناياتهم الجاهلة التي تعودوا عليها، وإنما لطبيعة واحدة ورواية فاردة مكرورة على مدار الزمن الرسالي .

وهنا يجيب صالح صالح الإجابة التي مضت عن جده نوح عليه السلام وهي إجابة الرسل صيغة واحدة وصيغة واحدة:

﴿قَالَ يَنْقُورِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَهَلْ يُضَرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (١٣) :

إن كوني فيكم مرجوا قبل هذا ليست بينة لكم عليّ، حيث السكوت عن دعوة ما لفترة ما ليس بينة لواجب السكوت في كل الفترات والحالات، ثم ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ وأنا بنفسي وما زودني ربي بينة من ربي ﴿وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ الوحي الرسالي، فهل أترك هذه الرحمة الغالية لكي أظلّ مرجوا فيكم بما تشتهون، إذا ﴿فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في بينته ورحمته ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بدعايتكم هذه ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أن أخسر رحمة ربي لكي أريح رجاءكم فيّ لما تهوونه؟! رجاء قاحلاً جاهلاً ما حلاً .

أجل وذلك تخسير على تخسير، خسارة الوحي والرسالة بعصيانى وانعزالي عنها، وخسارة النعمة الربانية إن عصيته في رسالته المفروضة على حين أرفضها .

ذلك، وحيث تريدون بينة غيري وما أنا عليه من بينة ف :

﴿وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٤﴾﴾ :

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ﴾ أنتم النوق ﴿آيَةٌ﴾ وأين ناقة من هؤلاء النوق؟ فقد أشبهت ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ كما أشبه ثعبان موسى للشعابين الفرعونيين .

«هذه لكم آية» متطلّبة بنوعها لإثبات الرسالة، فاعتنموها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ دون أن يكلفكم أكلاً من عندكم أنفسكم أو شرباً، إنما هي «ناقة الله تأكل في أرض الله» - ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ صنيعكم كما أنتم متعوّدون، حيث تسيئون إلى رسل الله وآياته ورسالاته ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ لثالوث: نكرانكم رسالة الله، وآية بينة من الله، ومسكم ناقة الله .

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿١٥﴾﴾ :

وكيف ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ وإنما عقرها واحد منهم؟ لمكان ﴿فَادَاؤُا صَاحِبُهُمْ فَعَاطَى فَعَقَرَ﴾^(١)؟ ذلك لأنهم نادوه لعقرها راضين عنه مشجعين إياه، فقد عاونوه على عقرها فهم إذا كلهم عاقرون، وهذه معاونة على الإثم والعدوان، تعدّ المعاوين كلهم آثمين عادين مهما اختلفت دركاته بين الأصيل والفصيل .

فيا «أيها الناس إنما يجمع الناس الرضى والسخط وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بعذاب لما عمّوه بالرضى فقال سبحانه:

﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾^(٢) فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحمّاة في الأرض الخوارة»^(٣) .

(١) سورة القمر، الآية: ٢٩ .

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٥٧ .

(٣) نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام .

فهذه ضابطة عامة مستفادة من ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أن سبب الجريمة ومباشرها مجرمان اثنان مهما اختلفت دركاتها حسب مختلف حركاتها، فلكل عقوبته جزاءً وفاقاً، طالما يستثنى عن القود غير القاتل لنفس محترمة ما لم يكن مباشراً، فلا يقتص من غير المباشر اللهم إلا نصيباً من الدية المفروضة في مجالاتها، أم إذا كان هو أقوى من المباشر لحد يعتبر هو المباشر.

وهؤلاء العاقرون الناقة عقروها بما عقروها صاحبهم المنادي لهم لعقروها وهو «أحمر ثمود»^(١) كما قال الله: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾^(٢) حيث أمرهم أن ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ولكنهم تعاونوا على إثم العقر وعدوانه نداء لصاحبهم بديلاً عن منعه عن عقروها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٥﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٦﴾﴾^(٣).

﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ هي ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ و﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرٌ مَكْذُوبٌ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٦﴾﴾:

و﴿أَمْرُنَا﴾ هذا هو ﴿صَاعِقَةٌ﴾^(٤) «طاغية»: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا

(١) البحار ١١: ٣٧٦ عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب عليهما السلام في غزوة العشيرة نائمين في صور من النخل ودقعاء من التراب فو الله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحررنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء فقال صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أحمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على قرنه - حتى يبل منها هذه - وأخذ بلحيته -.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الشمس، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٣.

بِالطَّائِفَةِ ﴿١﴾ وصيحة كما هنا، صاعقة طاغية، سائغة لهؤلاء الطائفة الصاعقة الطاغية .

فقد ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا... فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (٢) .
 ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (٣) ! وهنا ﴿بَجَّعْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾
 هي رحمة الإيمان، ورحمة من الله لأهل الإيمان ثم ﴿وَمِنَ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ إذ
 كان عذاباً مخزياً، ثم خزي يوم القيامة فإنه أخزى، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ
 الْعَزِيزُ﴾ فبقوته وعزته يعذب أهله ويرحم أهلها .

وهو «قوي لا بقوة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوته قوة
 البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه، ولا احتمال الزيادة، وما احتمال
 الزيادة احتمال النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم وكان عاجزاً» (٤) .

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿١٧﴾ كَانُوا لَمْ يَخَافُوا
 فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ :

هذه صيحة مدمرة وصاعقة طاغية مدممة مزمجرة، أخذت ﴿الَّذِينَ
 ظَلَمُوا﴾ أخذة قاسية قاضية ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ﴾ وهي قريتهم بدورها
 وشرورها ﴿جَنِّمِينَ﴾ حسوماً جاسمين، واقعين على وجوههم صرعى
 كأنهم أعجاز نخل خاوية .

وي ﴿كَانُوا لَمْ يَخَافُوا فِيهَا﴾ : إقامة، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٥) فتري

(١) سورة الحاقة، الآية: ٥ .

(٢) سورة الشمس، الآيات: ١١-١٤ .

(٣) سورة الشمس، الآية: ١٥ .

(٤) نور الثقلين ٢: ٣٧٥ في أصول الكافي محمد بن أبي عبد الله رفعه إلى أبي هاشم الجعفري
 قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له
 أسماء وصفات في كتابه وأسماء وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام إن لهذا الكلام
 وجهين - إلى قوله - وكذلك سميناً ربنا قوياً لا بقوة البطش... .

(٥) سورة الحاقة، الآية: ٨ .

دُورهم غير دُورهم، ودُورهم غير دُورهم، إذ أصبحوا بدُورهم بوراً في دورهم، لا أثر عنهم إلا حسرات تنادي بها أثرات.

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ عن فطرهم وعقولهم، حيث كفروا وسترُوا عن أنفسهم آيات الله آفاقية وأنفسية، فكفروا به وكذبوه وكذبوا رسله ﴿أَلَا بَعْدًا لثَمُودَ﴾ - «ألا بعداً لعاد كما بعدت ثمود» بعداً عن ذكرى التاريخ إلا بسوء، وعن آثارهم إلا دائرة بائرة، وعن مستقبلهم إلا عذاب الله كما في ماضيهم.



﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ
 أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ
 وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾
 وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾
 قَالَتْ يُونُتَيْتِي ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ
 ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
 إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلْنَا
 فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابِرَهُمْ أَعْرَضَ عَنْ
 هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِلْعَذَابِ عَيْرٌ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
 جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
 ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ
 يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي
 أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ
 وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
 ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ
 اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانُكُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ
 مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا

سَاوِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ :

علّ هذه «البشرى» هي بشرى إبراهيم وزوجه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، لمكان ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ...﴾ (١) ثم ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ (٢) فقد لا تعني بشرى العذاب لقوم لوط حيث يأتي خبرهم لما أرسل الرسل إلى لوط، ثم البشرى بعيدة عن العذاب إلا تهكماً للمعذبين، وهنا البشرى لإبراهيم ولوط ﴿بِالسَّلَامِ﴾ .

ذلك، وقد تعني هذه البشرى بضمنها بشرى العذاب فإنها بشارة لإبراهيم ولوط لقومه المجرمين، تعنيها عناية ضمنية، ولكن لا شاهد لها من هذه الآيات إلا احتمالاً صالحاً للعناية الضمنية، ثم وآيات الحجر تصرح ببشرى العذاب بعد بشرى الولادة فهما إذاً معنيان .

﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ وهو التحية السليمة الإسلامية التي امر بها المسلمون لله ﴿قَالَ سَلَّمَ﴾ وقد قدر هنا وهناك «عليك وعليكم» فإن قول ﴿سَلَّمَ﴾ هو الصيغة الصالحة التي تعني السلام على، ف ﴿سَلَّمَ﴾ بمجرد ما دون عناية «عليك أو عليكم» لفظياً أو مقامياً لا جواب له، وقد قدر في ﴿سَلَّمَ﴾ من إبراهيم إضافة إلى «عليكم» زيادة مأمورة محبورة لمكان ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِنَحْيِهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٣) .

(١) سورة هود، الآية: ٧١ .

(٢) سورة هود، الآية: ٧٤ .

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٦ .

ثم ولا يشترط في أصل الإجابة ونوعيتها معرفة المسلم عليك وكما لم يعرف إبراهيم هؤلاء الرسل بداية مجيئهم حتى عرفوه أنفسهم فعرفهم، فللسلام إجابة من أيّ كان وأيان، مهما كان لها موقعها الأرقى حين يعرف المسلم بمحتده الأرقى^(١).

﴿فَمَا لِيَتَّخِذَ الْإِنسَانُ عِبَادَتِي هُنَّ مِثْلَ النِّعَمِ﴾ : سمين مشويّ على حجارة الرضف المحمّاة، وهكذا يواجه الضيف، وقبل أن يعرفوا أو يعلم أنهم جائعون، فإن ذلك أدب الأريب، وإرب الأديب في إضافته أياً كان الضيف، أن يحضر له مائدة قدر الإمكانية غير المحرّجة فور ورده.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾^(٧٧) :

وهنا ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ رغم أدب الضيف، إذ عليه أن تصل يده إلى مائدته مهما كان شعباناً، احتراماً للضيف، فإن في عدم وصول أيديهم إليها احتراماً له، فلم يقل «لا يأكلون» فقد تصل أيديهم إلى المائدة احتراماً دون

(١) البحار ١٢ : ١٦٨ عن النجاشي عن أبي يزيد الحمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله بعث أربعة أملاك بإهلاك قوم لوط : جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبييل فمروا بإبراهيم وهم متعممون فسلموا عليه ولم يعرفهم ورأى هيئة حسنة فقال : لا يخدم هؤلاء إلا أنا بنفسي وكان صاحب أضياف فشوى لهم عجاجاً سميناً حتى أنضجه ثم قربه إليهم فلما وضعه بين أيديهم ورأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم فقال له : أنت هو؟ قال : نعم ، ومرت امرأته سارة ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هُود : ٧١] قالت ما قال الله وأجابوها بما في الكتاب فقال إبراهيم : فيما جئتم؟ قالوا : في هلاك قوم لوط ، فقال لهم : إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال جبرئيل : لا ، قال : إن كانوا خمسين؟ قال : لا ، قال : فإن كانوا ثلاثين؟ قال : لا ، قال : فإن كانوا عشرين؟ قال : لا ، قال : فإن كانوا عشرة؟ قال : لا ، قال : فإن كانوا خمسة؟ قال : لا ، قال : إن فيها لوطاً؟ قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ، ثم مضوا ، وقال الحسن بن علي : لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم وهو قول الله : ﴿يَجِدُكَ فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هُود : ٧٤].

أكل ماكن أم يعتذرون، ولكي يعلنوا أنهم جاءوا بخير، فحين لا يأكلون ولا تصل أيديهم إلى مائدته، فقد يلّمح أنهم جاؤوا بشر، فلذلك ﴿نَكَرَهُمْ﴾ نكراناً بمظهر نكرانهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ إخفاء ﴿مِنْهُمْ﴾ في نفسه ﴿خِيفَةً﴾ ولكنما الخيفة الموجسة ليست لتوجس عمن يخاف منه لظهور ملامحة منه ومن الموقف، فلمحة من ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ وأخرى من الحالة المتغيرة من الخيفة الموجسة، هما تكفيان لعرفان الخيفة.

فالذي لا يأكل الطعام أم لا تصل يده إليه عند الإضافة، إنه يريب إشعاراً بأنه ينوي خيانة أو عذراً حسب تقاليد أهل البدو، بل والمتحضرين، وأهل الريف البسطاء يتخرجون من خيانة الطعام، أن يخونوا من أكلوا معه وفي بيته، فإذا لم تصل اليد إلى طعامهم فقد يعني أنهم ينون شراً، أم - لأقل تقدير - لا ينون خيراً.

ذلك، ولم يكن الإيجاس إلا في البداية إذ صرّح بخيفة في النهاية كما في الحجر: ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾^(١).

ذلك وقد يروى أنه قال لهم كلوا فقالوا: لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: باسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة رئيسهم جبرئيل فقال: حق لله أن يتخذ هذا خليلاً^(٢).

ذلك، وهنا ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ﴾ حيث ﴿فَأَقْبَلَتِ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ مَجُورٌ عَقِيمٌ﴾^(٢٩) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم^(٣٠).

(١) سورة الحجر، الآية: ٥٢.

(٢) البحار ١٢: ١٦٨ عن تفسير العياشي عن عبد الله بن عبد الله بن أبي هلال عن أبي عبد الله عليه السلام... أقول: وهذه رواية أخرى تذكر قبل هذه الجملة طول القصة المذكورة من ذي قبل.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

﴿فَضَحِكْتُ﴾ متعجبة من عظم الموقف في بشارتها، فصكت وجهها

منها .

لذلك ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ برسالة العذاب كما يدل عليها ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾^(١) وليس في المسرح صراح خبير من العذاب .

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَلَبَسْنَاهَا لِبَاسًا مِّنَ السَّجْدِ فَدَخَلَتْ فِيهَا مَلَأَتْهَا مِن مَّنْجُوعٍ فَهِيَ فِيهَا حَامِلَةٌ﴾^(٢)

وتراها «ضحكت» يبشرى العذاب المستفادة من ﴿أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾، أم بشرى الولادة؟ قد تلمح ﴿فَضَحِكْتُ﴾ المفرعة على ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾^(٢) أنها ضحكت مستبشرة ببشرى العذاب، كما ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ تؤخر بشرى الولادة، والضحك من التعجب حيث تعجبت من هذه البشرى عذاباً ورحمة^(٣) وترى بعد «ضحكت» تعني حاضت؟ وقد يضحك الأدب الصالح من ذلك الضحك الكالغ أن يعني الحيض! ثم لا رباط لحيضها ببشرى العذاب ولما تبشر بالولادة، فأية صلة بين بشرى العذاب وحيضها؟^(٤)

فيا للضحكة الحائضة من فاضحة واضحة ليس ليصدقها إلا من لا يعرف عن أدب اللفظ والمعنى شيئاً ولا فيئاً .

(١) سورة هود، الآية: ٧٤ .

(٢) سورة هود، الآية: ٧٠ .

(٣) البحار ١٢ : ١٤٩ قال أبو جعفر عليه السلام في سرد القصة «ضحكت» يعني: فتعجبت من قولهم .

(٤) البحار ١٢ : ١٥٦ عن تفسير القمي دون إسناد إلى معصوم كما هوداً به كثيراً ما، في سرد القصة: وجاءت سارة في جماعة معها فقالت لهم: «ما لكم تمتنعون من طعام خليل الله؟ فقالوا لإبراهيم: لا توجل - أي: لا تخف ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠] ففزعت سارة وضحكت أي: حاضت وقد كان ارتفع حيضها منذ دهر طويل فقال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧١] . وفي معاني الأخبار بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَضَحِكْتُ﴾ قال: حاضت .